

الفصل الثاني

المشكلة الهومرية

١ - نظرية قولف

كان اليونان منذ بداية القرن السابع ق . م . ينسبون إلى هوميروس عدداً من القصائد ^(١) غير الإلياذة والوديسا ولكن لما ظهر علماء الاسكندرية وعكفوا على دراسة الأشعار الهومرية دراسة دقيقة قرروا استبعاد هذه المقطوعات « لأن لغتها كانت مصطنعة وكان أسلوبها ركيكا وأوازيها غير مصقولة ، لذلك أجمعوا على أنه لم ينظم إلا الملحميتين العظيمتين ، ولم يخرج على هذا الإجماع إلا فئة قليلة ^(٢) كانت تدعى بأن هوميروس لم ينظم إلا الإلياذة وأن الوديسا كانت من نظم شاعر . أو شعراء - غيره . ولكن يظهر أن هذه الجماعة لم تستطع تأييد دعواها بأدلة قوية فكان من السهل على أريستا رخوس تفنيد رأيها وإخماد صوتها ، فلم يعد يسمع به أحد منذ ظهور المسيحية .

لكن إجماع القدماء لم يمنع المحدثين من مخالفتهم في الرأي فاعتمدوا على بعض العبارات المتناثرة في مؤلفات اليونان ليؤيدوا نظرية هؤلاء الذين سبق أن نادوا بفصل الإلياذة عن الوديسا ، وما أن تجددت هذه الدعوى

(١) انظر الفصل الأول ص: ١٤

(٢) أشهر هؤلاء كسينون Xenon وهيلانيكوس (Hellanicos) ، وقد عرفت هذه الفئة عند اليونان باسم Ch. horizontes أي الذين يفصلون الإلياذة عن الوديسا .

فى القرن السادس عشر حتى انقسم المحدثون على أنفسهم ، فتعددت مدارسهم وتضاربت آراؤهم وتعقدت أبحاثهم وكونت فى مجموعها ما يعرف بالمشكلة الهومرية .

قامت هذه المشكلة على اعتراضين رئيسيين : أولهما انه ليس من الممكن أن يبدأ الأدب اليونانى بهاتين الملحمتين الرائعتين وليس من المعقول أن تخرجا من العدم دون أن تسبقهما ملاحم أخرى رجع إليها هوميروس وأفاد منها فى نظم أشعاره . وثانيهما أن خصائص كل من الملحمتين تدل على أنهما عملان مختلفان ألفهما شعراء مختلفون وأن كلا منهما وحدة مستقلة رغم ما تضمنته من مقطوعات مفككة وفقرات متناقضة . ومن هنا بدأ المحدثون دراستهم وأخذوا فى البحث عن مختلف الأدلة يدعمون بها رأيهم . وكان اسحق كازوبون (Isaac Casaubon) ، فيما علم ، أول من أثار الشكوك حول ناظم الالياذه والاولديسا ؛ وتبعه عدد من العلماء أخذوا برأيه دون أن يناقشوه ، وبقي الموضوع غامضاً دون بحث حتى ظهر العالم الألمانى فولف (Wolf) الذى فاق جميع من سبقوه وألقى بهم فى عالم النسيان لأنه كان أول المحدثين الذين اهتموا بدراسة المشكلة دراسة علمية ووضع فيها كتاباً^(١) مهما للغاية أصدره عام ١٧٩٥ . وبدأه بمقدمه عن تاريخ الملحمتين منذ ظهورهما فى منتصف القرن العاشر حتى حكم الطاغى الآثنى بيسستراتوس (٥٥٠ ق . م) . وبعد أن تحدث فولف عن أهمية أقدم مخطوط للأشعار الهومرية أمر بعمله ذلك الحاكم ، تناول الموضوع بالبحث الدقيق وانتهى إلى النتيجة التالية .

(١) عنوانه « مقدمة لدراسة هوميروس » .

عندما نظمت الأشعار الهومرية كان اليونان يعيشون عيشة بدائية في منتصف القرن العاشر وكانوا لا يعرفون الكتابة أو على الأقل لم تكن قد أصبحت وسيلة مألوفة لتدوين الأدب بفنونه المختلفة ، وبذلك لم يكن في مقدور اليونان أن ينظموا في تلك الظروف مثل هاتين الملحمتين الطويلتين ، لأنه حتى لو سلمنا ، في رأى قولف ، بإمكان نظمهما فإننا لا نستطيع أن نتصور وجود جمهور يستطيع سماعهما ، فهاتان الملحمتان تشبهان في رؤية سفينة هائلة بنيت في مدينة بعيدة عن الساحل في زمن قديم لم تعرف فيه الملاحة وقواعدها ، بناها صاحبها من غير أن تكون لديه العدد والآلات التي تساعد على إنزالها إلى الماء بل ودون وجود بحر يجر بها فيه ، ^(١) .

واتخذ قولف من جهل اليونان بالكتابة أو من عدم انتشارها بينهم دليلا على أن القصائد الهومرية انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفوية وبذلك أدخل عليها الرواة والمنشدون ، بقصد أو بدون قصد ، كثيراً من التعديل . حتى دونت لأول مرة في عهد الپيسستراتوس ثم تعرضت ، حتى بعد تدوينها ، لتغييرات أخرى تعتمد النساخ أو النقاد ادخالها على النص بقصد التنقيح والتوفيق بين أجزائه المختلفة . وأضاف قولف قائلاً أن الوحدة الفنية قوية في الملحمتين المعروفتين لنا ولكنها أقوى وأشد ظهوراً في الاوديسا منها في الالياذه ، وينكر قولف وجود هذه الوحدة في الملحمتين منذ نشأتها ، ويقول إنها اكتملت تدريجياً مع مرور الزمن بفضل الإضافات والتعديلات التي أدخلت عليهما وينتهى من ذلك إلى أنهما ليستا من نظم شاعر واحد وأنهما أول الأمر لم تكونا في صورتهم

(١) مترجمة عن Jebb, op.cit., p.108 .

المعروفة بل كانتا أقصر من ذلك بكثير ثم أخذ المنشدون يضيفون إليهما مقطوعات جديدة حتى بلغت هذا الطول .

وجدير بالذكر أن فولف لم ينكر وجود هوميروس ولم ينكر أنه كان شاعراً عبقرياً وأنه بدأ « نسيج الخيوط الأولى ، ونظم الجزء الأكبر من الإلياذة والوديسا . ولقد أكد فولف هذا الرأي مرة أخرى في طبعة الإلياذة التي نشرها في نفس الوقت تقريباً اذ قال في مقدمتها ، « لا شك أن هوميروس الذي فكر في نظم الإلياذة والوديسا نسيج خيوطهما الأولى ووصل بها إلى نقطة معينة لا يمكن تحديدها ولو بصورة تقريبية ، ولا شك عندنا أيضاً في أنه نظم عدداً كبيراً من الأناشيد وأن تلاميذه من الهوميروداي أتموا عمله وأضافوا الأغاني القليلة الباقية » .

تلك خلاصة نظرية فولف التي لقيت ، عند ظهورها ، تأييداً شديداً من علماء الألمان وأدبائهم ^(١) ، ومع أن الأبحاث الأخيرة قد أثبتت خطأها إلا أن جميع النقاد لا ينكرون على صاحبها المجهود العظيم الذي بذله لفهم هوميروس فهما عميقاً ، لقد كان فولف أول من اهتم بتحليل أشعاره ودراستها في ضوء الظروف التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بالشاعر ووصفها في ملاحمه .

ولكن النتائج التي وصل إليها لم تستطع الصمود أمام نتائج الاكتشافات

(١) ما عدا الشاعر شيلر الذي وصف نظرية فولف بأنها « بربرية همجية » ، ولقد خالفه جيته أول الأمر ثم أيده بعد ذلك وهاجم فولف قائلاً : « انى أعيب على هذا الخنزير البري اقتحامه أنضر الحدائق في دنيا الحسن والجمال » ، قارن : Geddes (W. D.), The problem of the Homeric poems, 1878, p. 12.

يضاف إلى ذلك أن نقاد فرنسا وإنجلترا لم يتحمسوا لهذه النظرية بل عارضوها إلا المؤرخ الانجليزي Grote الذي وافق على بعض أجزائها ، انظر ، p. 16. Geddes, op. cit.,

الحديثة ، فلم يتصور أن شليمان كان سيقوم بحفريات في موكناي وفي طرواده ويثبت أن حضارة عريقة زاهرة ظهرت في هذه المنطقة ، ولم يتصور أيضا أن أفانس Evans كان سيقوم بحفريات في كريت ويثبت أنها كانت مهذا لحضارة أعرق وأكثر ازدهارا ولم يتصور أيضا أن العلماء ، من بعده ، سيثبتون أن اليونان تأثروا بهذه الحضارة وأنهم عرفوا الكتابة وأنه وجدت عندهم الواح مكتوبة ترجع إلى ما قبل ظهور هوميروس بقرون عدة ، لم يتصور فوولف كل ذلك بل اعتقد أن بلاد اليونان كانت ، كما وصفها ثوكوديديس ، منطقة جرداء فقيرة وأنها كانت مرتعا للجهل لا يمكن أن تنشئ ملحمتين رائعتين ، لأن اليونان ، في رأيه ، لم يعرفوا فن الشعر وقواعده وأصوله إلا بعد ذلك بوقت طويل .

لكن نتائج الحفريات الأخيرة والاكتشافات الحديثة أدت إلى إنهيار هذه النظرية انهيارا تاما وهذا تفنيد لأهم النقاط التي تضمنتها .

حقا إن أقدم النقوش اليونانية الموجودة لا يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السابع قبل الميلاد ولكن هذا لا ينهض دليلا على أن الكتابة استخدمت في النقش على الآثار قبل أن تستعمل في تدوين الأعمال الأدبية بل من المحتمل أن العكس صحيح ؛ كما أن رداءة الكتابة ونقش الحروف على الرخام بطريقة بدائية لا تعني أن فن الكتابة لم يكن شائعا عند اليونان ولكنه يدل فقط على أنهم كانوا لا يتقنون هذا الفن وأنهم كانوا يجدون صعوبة في نقش الحروف على الحجر ^(١) بل ويحتمل أنهم كانوا يكتبون بسهولة على خامات رقيقة لينة مثل أوراق الشجر والجلد المدبوغ والخشب والشمع وغير ذلك

Jebb, op. cit., p.110, note 2. (١)

من المواد التي اندثرت معالمها . ولماذا نستبعد أن اليونان عرفوا الكتابه عندما اتصلوا بالفينيقيين في القرن الثاني عشر كما يدل على ذلك تطور حضارتهم السريع ورقيا ، وكما يشهد بذلك هيروdot عندما يحدثنا عن نقش رآه في طيبة يرجع تاريخه إلى قرون عديدة ضاربه في القدم ؟ ^(١) . لقد اعترف فولف نفسه بأن اليونان تعلوا الكتابه وأن الشعراء ^(٢) استخدموها في تدوير قصائدهم ابتداء من ٧٧٦ ق.م ^(٣) ، وقصر هذا على عدد ضئيل من الشعراء ولكنه لم يبين الأسباب التي من أجلها بالذات اختار ذلك التاريخ . ولماذا لم يذكر هوميروس بين الشعراء القليلين الذين استخدموا الكتابه في أشعارهم ؟ فسوف نرى أن أبحاث القرن العشرين أثبتت أن الأشعار الهومرية دونت بعد نظمها مباشرة لأن تداولها على ألسنة المنشدين والرواة لا يعنى أنهم كانوا لا يحتفظون بنسخ مكتوبة يرجعون إليها لتساعدهم على تذكر هذه الأشعار قبل إنشادها لأن حفظ هذه الملاحم الطويلة وتلاوتها من الذاكرة على مر العصور أمران من الصعب تصورهما .

أما عن قول فولف بأن أناشيد الإلياذة والأوديسا ظلت متفرقة ولم تجمع إلا في عهد الپيسيستراتوس فهو قول يدعو إلى الشك لأن القدماء لم يقولوا بذلك إلا في عصر متأخر ، فلم يرد ذكر هذا الرأي عند أى كاتب يوناني أو روماني قبل پاوسنياس وشيشرون ^(٤) بينما يحدثنا پلوتارخوس عن رواية

(١) هيروdot : الجزء الخامس : فصل ٥٩ . يرجع المؤرخ هذا النقش إلى عصر لايبوس ابن لايبداكوس الذي عاش قبل حرب طروادة بزمان طویل كما تحدثنا بذلك أساطير اليونان .

(٢) مثل الشعراء الذين قلدوا هوميروس ونظموا الملاحم من بعده ، انظر الفصل الأول

ص ١٤ ، قارن . Jebb, op. cit, p.p. 153—155 .

(٣) فولف : مقدمة في دراسة هوميروس ، ص : ٧٠ ، قلا عن p. 112 . Jebb, op. cit.,

(٤) پاوسنياس ، جزء ٧ فصل ٢٦ ؛ شيشرون ، عن الخطيب ، ٣ ، ٣٤ .

أقدم تشير إلى أن لوكورجوس كان أول من أحضر بنفسه عام ٧٧٦ ق . م نسخة كاملة من أشعار هوميروس وجاء بها إلى بلاد اليونان ، وهذا دليل على أنها دونت قبل عصر الپيسستراتوس بمئات السنين . وحتى إذا سلمنا بأنها لم تجمع إلا في عهد هذا الحاكم فهل هذا يمنع وجود صلة بين الأناشيد المتفرقة أو ينفي أنها كانت تكون في مجموعها ملحمة ذات وحدة كاملة ؟ وبذلك يكون عمل الپيسستراتوس قد اقتصر على جمع الأشعار الأصلية والمحافظة عليها ، ولم يتعد ذلك إلى تنسيق أجزائها والحذف منها والإضافة اليها وصياغتها صياغة فنية . ومع أن ثولف كان يمتاز بدقته العلمية إلا أنه كان موجزا إلى حد الغموض أحيانا فلم يوضح أين انتهى دور هوميروس ولم يذكر عدد الأناشيد التي نظمها والتي أضافها غيره من بعده ولم يبين الفرق بين شعره وأشعارهم ، وبذلك كان بحثه ناقصا يحتاج إلى توضيحات وعد بإدخالها على نظريته ولكنه لم يحقق هذا الوعد مما حمل النقد على اتهامه بالتردد في الرأي وعدم الايمان . ومهما يكن من الأمر فإنه نجح في إيجاد مدرسة واصلت دراسة الموضوع في ضوء النتائج التي سجلها ولكن سرعان ما اختلف تلاميذه فيما بينهم وتعددت آراؤهم مما أضعفهم وأدى إلى القضاء على نظريتهم^(١)

وأشهر أتباعه لآخمان (Lachmann) وهرمان (Hermann) .
قسم الأول الألباذة إلى ثمانية عشر^(٢) نشيدا مستقلا نظمها شعراء مختلفون واعتمد في ذلك على أن هذه الأناشيد تتضمن كثيرا من التناقض في المعلومات وأن الروح التي تسودها ليست واحدة .

(١) Geddes, op.cit., p. 13.

(٢) وقسمها علماء آخرون إلى ستة عشر نشيدا ، وعرفت نظرية التقسيم إلى أناشيد متفرقة باسم نظرية الأغاني القصيرة "Klein Lieder Theorie" انظر Jebb, op. cit., p. 119.

أما هرمان فقد أيد نظرية فوelf ولكنه اختلف معه فى التفاصيل ، فلم يوافق على أن هوميروس نظم جزءا من الإلياذة والأوديسا وأن شعراء غيره ألفوا بقية الأناشيد ، لم يقتنع بذلك لأنه لم يفهم السبب فى أن يتقيد اتباع هوميروس بالموضوع الذى اختاره استأذهم ويتغنوا بالأيام الأخيرة من حرب طروادة وبعودة أوديسيوس دون غيره من أبطال اليونان ، وكان جديرا بهم أن يتناولوا فترة أخرى من الحرب أو يمجّدوا أبطالاً آخرين لذلك كان يرى أن هوميروس هو الذى نظم الإلياذة والأوديسا ووضع الهيكل الأول ، وأن الشعراء لم يضيفوا شيئا جديداً إلى النسيج الذى غزله ، ولكنهم عملوا فى حدود الدائرة التى رسمها لهم واقتصر عملهم على تقليده تقليداً حرفياً وإضافة الآيات^(١) التى ينظمونها إلى أشعاره أو إطالة بعض الفقرات وتفصيلها^(٢) . واعتقد هرمان أن جمهور المستمعين كان لا يسمح لاتباع هوميروس بأن يغيروا فى الهيكل الذى بناه لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يبلغوا ما بلغه .

يتبين لنا من هذه الآراء أن اتباع فوelf قد اختلفوا مع استأذهم فى التفاصيل ومع ذلك فقد اتفقوا جميعا على أن هوميروس لم يكن خالق الملحمة اليونانية ، ولكنه نظم الجزء الأكبر من أناشيد الإلياذة والأوديسا ثم ظهر من بعده شعراء أضافوا أناشيد أخرى وصاغوا الملحمتين فى القالب الذى نعرفه .

(١) مثال ذلك فى رأيه مطلع النشيد الثانى من الإلياذة .

(٢) معركة الآلهة فى النشيد ٢١ ما هى إلا إطالة وتفصيل للفقرة ٥٦ — ٧٤ من النشيد

العشرين .

٢ - المعارضون لقولف

لم يكن هناك بد من أن يجد قولف وأتباعه معارضة قوية لأنهم اعتبروا هوميروس شاعراً عادياً مثل غيره من الشعراء المغمورين الذين عاشوا قبله ببضعة قرون ولم ينظموا إلا أناشيد قصيرة، ولكن قد ثبت أنه ظهر بعد زوال عصر هذه الأناشيد فوجد أمامه تراثاً ضخماً رجع إليه وأفاد منه عند صياغة ملاحمه التي تعد الأولى من نوعها في الأدب اليوناني .

وكان نيتشه ^(١) (G. Nitzsch) أول من حمل لواء المعارضة ضد اتباع قولف فقال : إن هوميروس ، في رأبي ، أحدث تطوراً عظيماً في المقطوعات القصيرة التي كان يتغنى بها المنشدون القدماء عن حرب طروادة وصاغ منها الألياذة ويحتمل أيضاً أنه نظم الأوديسا بنفس الطريقة ولو أن أصالة الشاعر أشد ظهوراً فيها لأنها تضمنت وصفاً لعدد كبير من المغامرات الخيالية رواها بطريقة الخاصة ، ^(٢)

وكان نيتشه يعتقد أن الألياذة التي نظمها هوميروس مع الأوديسا قبل

(١) يقال إنه كان شديداً في هجومه فوجه لهم ضربات عنيفة حتى وصفه النقاد بأنه كان مطرقة على رؤوس قولف وأتباعه Malleus Wollianorum ، انظر Geddes, op. cit., p. 12.

(٢) خصص نيتشه عدة أبحاث لدراسة المشكلة الهومرية ظهرت في الفترة ما بين ١٨٢٩ — ١٨٦٣ أهمها :

عام ٨٠٠ ق.م قد تعرضت ، من بعده ، لتعديلات طفيفة ، أما جوهرها فبقى كما كان عليه . ولقد وقف إلى جانبه العالم الأنجليزى المشهور جرت^(١) (Grote) فأيده فى أن الإلياذة كانت من نظم هوميروس وأنها كانت تصف غضب اخيليوس ثم ظهر شاعر - أو شعراء - أراد أن يزيد فى طولها فاضاف إليها أناشيد كاملة لاتصل اتصالا قويا بالمحمة الأولى عن غضب اخيليوس^(٢) . وكانت تتكون ، فى رأيه ، من الأناشيد ١ ، ٨ ، ١١ - ٢٢ ، أما الأناشيد الباقية ٢ - ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ فقد أضيفت إليها فيما بعد وأصبحت فى مجموعها تسمى بالإلياذة ، ولكن الأدلة التى اعتمد عليها جرت فى استبعاد بعض الأناشيد انهارت أمام النتائج التى وصل إليها العلماء المحدثون .

وأهم الأبحاث التى ظهرت أخيراً لتفنيد مزاعم فولف وأتباعه كتب

De Historia Homeri maxime ue de scriptorum carminum =
aetate meletemata, Hanover, 1830—1837.

وقد اعتمد عليه Jebb, op, cit., -p. 121 فى تلخيص نظرية نيتشه ونقل منه عدة فقرات منها هذه الفقرة التى ترجمناها .

(١) انظر كتابه المشهور الذى ما زال يحتفظ بقيمته العلمية رغم قدمه :

Grote (G.), History of Greece, Vol II, ch. 21.

(٢) لقد نادى العالم كرخهوف (Kirchhoff) برأى مماثل فيما يتعلق بالأوديسا فقال انها كانت فى الأصل تصف «عودة أودوسيوس» رواها الشاعر فى الأناشيد ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، أما بقية الأناشيد التى تتضمنها الأوديسا الحالية فهى ، فى رأيه ، إضافات من نظم شعراء غير هوميروس ، انظر :

Edwards (G. M.), The Odyssey of Homer, Book IX, Cambridge, 1952, p. 10. note 2.

ثلاثة (١) من تأليف العالم البلجيكي المعاصر بيرسفيرنس (A. Severyns) .
وقف هذا الأستاذ نفسه لدراسة هوميروس عشرات (٢) السنين وعكف
على بحث جميع المشكلات التاريخية واللغوية والدينية والاجتماعية التي
تتصل بالأشعار الهومرية ، ونجح في إظهار أوجه النقص في نظرية فولف
واستطاع بعد بحث دقيق أن يعلل أسباب الحذف والاضافة وأن يسوغ
التناقض في بعض المعلومات الجغرافية ويفسر الفروق اللغوية في الملحميتين
وأثبت أن فولف لم يكن منصفاً عندما اتهم هوميروس بالتناقض والخطأ
فنسى أنه من البشر وتناسى ظروف الفترة التي عاش فيها وتطلب منه أن
يكون مؤرخاً من الطراز الأول وجغرافياً ممتازاً وبحاراً عليماً بشئون
الملاحة مثل هؤلاء الذين يعيشون في العصر الحديث ، ونسى أيضاً أنه شاعر
قبل كل شيء ، وأن من حقه التحرر في سرد الحقائق وعرضها في قالب
شاعري جذاب ، فثلاً الاختلاف في العقائد والتقاليد والفرق بين أنواع
الأساطير يمكننا أن نرجعه إلى رغبة هوميروس في وصف أزمنة مختلفة
وخلط القديم بالحديث لأنه كان يتغنى بالماضي البعيد ويصبغه بصبغة العصر
الذي عاش فيه ، ومن الممكن أن نعزو هذا التباين أيضاً إلى أن الشاعر كان
يعرف كثيراً من القصائد التي نظمت في فترات متباعدة وتضمنت
معلومات متناقضة فلما اقتبس منها ونقل عنها ظهر أثرها في شعره .

ومهما يكن من الأمر فإن سيفيرنس استطاع تفنيد الأدلة التي ساقها

(١) انظر قائمة المراجع .

(٢) كان أول بحث له في الموضوع رسالة قدمها لنيل درجة الدكتوراه من السربون
١٩٢٥ ، اتبعها بعشرات المقالات ثم جمع نتائج أبحاثه ودراساته المختلفة في الكتب التي
أشرنا إليها .

قُولف ليثبت أن الإلياذة والأوديسا نحتويان على عدد كبير من المقطوعات والأبيات الدخيلة وإنهما مملوءتان بالمعلومات المتضاربة . وكان قُولف قد بنى نظريته كما قلنا ، على أن الكتابه لم تكن معروفة في عصر هوميروس ولذا استبعد الأبيات^(١) التي تشير إلى وجود هــذا الفن ، فلما ثبت من حفريات كريت وأرجوس وفلسطين أن اليونان عرفوا الكتابة منذ عصر الأبطال وأنها انتشرت بينهم قبل أن يأتي هوميروس إلى الوجود ، انهارت حجة العالم الألماني وشرع المحدثون في دراسة الأشعار الهومرية وتحليلها من جديد وأثبتوا أن الأبيات التي تدل على معرفة الكتابة والتي ذكر فيها بعض الأدوات^(٢) المنزلية ووصف فيها أنواعا من الفاكهة وأشار فيها إلى جزر^(٣) معينة — أثبتوا أنها هوميرية في كل شيء : في لغتها وأسلوبها ، في روحها ووزنها^(٤) ، كما أثبتوا أن اليونان استخدموا تلك الأدوات وزرعوا

(١) الإلياذة : ٦ : ١٦٨ — ١٦٩ ؛ أوديسا : ٨ : ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) أوديسا : ١٩ : ٣٤ ؛ ١٩ : ٦٣ — ٦٤ ؛ ١٨ : ٣٠٧ — ٣١١ حيث يرد ذكر المصباح ، أوديسا : ٢١ : ٦ — ٧ حيث يرد ذكر المفتاح المعدني .

(٣) أوديسا : ٢٠ : ٣٠٢ ، ٣٨٣ حيث يشير هوميروس إلى جزيرة سرديانيا وسفالية .

(٤) استخدم هوميروس الوزن السداسي الداكتولي وهو أقدم الأوزان اليونانية ، ويتكون من ستة أقدام ، يتركب كل منها من مقطعين طويلين (— — سبوندي)

sponde أو مقطع طويل واثنين قصيرين oo — داكتولوس (dactulos) .

oo — | oo — | oo — | oo — | oo — | oo —

وكانت نسبة الأقدام الداكتولية أكبر بكثير من الأقدام السبوندية لأن هوميروس كان يفضل البيت السداسي الداكتولي أي الذي يشترط أن يكون القدم الخامس فيه داكتوليا وكان يقلل من استخدام السداسي السبوندي الذي يكون القدم الخامس فيه سبوندي ، ومع أن هذا البيت كان من ابتكار الشعراء السابقين إلا أنه كان صاحب الفضل في صقله وإتقانه ، واقد

تلك الفواكه وعرفوا تلك الجزر قبل أن يولد هوميروس بمئات السنين .
ولما كان المجال لا يتسع لتنفيذ مختلف الأدلة التي ساقها فولف لتدعيم
نظريته ، لذا سنكتفي بالإشارة إلى الفروق بين الالياذه والاولديسا لنبين
أنها سطحية وما كان لقولف أن يعتمد عليها في بناء نظريته .
إن نظرة واحدة للغة الهومرية تدل على أنها آخر ما وصلت إليه لغة
الملاحم من إتقان بعد أن مرت بتطورات عديدة في العصور المختلفة ، فهي
لا تتصف ، كلغة الأشعار البدائية ، بالتكلف والغموض ولا تفتقر إلى
الترادفات ولكنها بسيطة غنية بمفرداتها ومعانيها صالحة للتعبير عن مختلف
الأفكار .

فكيف تكونت هذه اللغة ومتى استخدمها الشعراء ؟ إن هذه المشكلة
ما زالت قيد البحث^(١) رغم ظهورها منذ أقدم العصور . فقد أشار إليها
أرسطو بقوله : « لم يصلنا شيء من أعمال الشعراء الذين عاشوا قبل
هوميروس ، ولكننا لا نشك في أنهم كانوا يفوقون الحصر ، ابتكروا
لغة تطورت وارتقت على مر العصور ، فوجد فيها هوميروس أداة
للتعبير عن أفكاره تعبيراً دقيقاً رائعاً ، ولا شك أنه أضاف إليها من عنده

= أظهر في استخدامه براعة تفوق كل وصف وبلغ به حد الكمال انظر :

Severys (A.), Homère, le poète et son œuvre, Chs IV, et V, pp. 49—72.

(١) ليس من السهل الوصول إلى رأى قاطع في هذه المشكلة ما دمنا لا نعرف شيئاً عن
الأممجات اليونانية في العصر الهومري والعصور السابقة عليه ، انظر :

Edwards, op. cit., p. 14.

(٢) أرسطو : فن الشعر : ٤ ، ٣٠ .

وجدد فيها حتى بلغ بها حد الكمال ، وأصبحت تنسب إليه لأنه أعظم من خلدها في أشعاره ، فاللغة الهومرية إذن أقدم من الأشعار الهومرية ، ظهرت إلى الوجود قبل هوميروس بمئات السنين^(١) ويسمى نقاد اليونان « بالأيونية القديمة »^(٢) ، وهي خليط من لهجات مختلفة امتزجت^(٣) امتزاجاً شديداً حتى أن بعض أبيات الإلياذة تحتوى على كلمات من أربع لهجات ولقد لاحظ ذلك الناقد ديون خروسوستوموس (Dion Chrusostomos) فقال : « إن هوميروس كان يتكلم أحياناً الأيولية وأحياناً الأيونية وأحياناً أخرى الدورية »^(٤) . . . ولكن يجب ألا يتبادر إلى الذهن أن هذه العناصر امتزجت بنسبة واحدة . فالأيونية في الواقع هي أكثر العناصر ظهوراً في اللغة الهومرية ولذلك سماها القدماء ، كما قلنا ، بالأيونية القديمة ، وإلى جانب الأيونية الغالبة تستعمل الأيولية بصورة واضحة مما جعل نقاد القرن التاسع

(١) الدليل على قدمها ما تحتوى عليه من صفات تصف مدناً اندثرت وتعبيرات رددتها الأجيال قبل هوميروس ، مثال ذلك : « وكناى الغني بذهبها ، وطروادة ذات القلعة العالية ، وقوله : الفجر ذو الأصابع الوردية ، والرمح ذو الظل الطويل ، والبحر ذو اللون الحمري . »
(٢) « he aret-ai-ia-ia » وسميت قديمة لافرق بينها وبين الأيونية التي استخدمها هيرودوت في القرن الخامس ت . م . انظر :

Jebb, op. cit., p. 185.

Ps. Plut., Vita Homeri, ii - 8. (٣)

تارن الإلياذة : ٣ : ١٤٩ — ١٥٣ تحتوى هذه الايات على ألفاظ أيونية قديمة وأيونية حديثة وأيولية وآتيكية وكلمات بالية لجأ النقاد إلى تخمين معناها لأنها لم ترد إلا في هذه الفقرة . انظر :

Bowra (C. H.), Tradition & Design in the Iliad, Oxford. 1930, p. 154 .

Dion Chrust , XI. 230 (٤)

عشر يعتقدون أن هوميروس نظم أشعاره بالأيولية وأنها ترجمت^(١) إلى الأيونية ما بين عام ٥٣٠ — ٥٠٠ ق.م ، لكن علماء القرن العشرين أرجعوا استخدام الأيونية والأيولية إلى أن هوميروس عاش في جزيرة خيوس ونظم أشعاره بلغة أهلها التي كانت خليطا من هاتين اللهجتين ، إلا أن الأبحاث الأخيرة قد أثبتت أن لغة هوميروس لم تكن أبدا لغة للكلام في أى مكان ببلاد اليونان ، فلغة خيوس ، كأي لغة للكلام ، كانت فقيرة في المترادفات ، محدودة النهايات ، قليلة الصيغ بعكس اللغة الهومرية فهي غنية بالألفاظ مليئة بالمترادفات^(٢) متحرره لا تتقيد بالقواعد ، تكثر فيها النهايات وتتعدد فيها الصيغ حتى تعبر عن أفكار وموضوعات اسمى من تلك التي تتطلبها الحياة اليومية .

أما المفردات والصيغ الآتيكية في اللغة الهومرية فأقل من الأيولية بكثير ووجودها في النص أمر طبيعي لأن أثينا ، عاصمة اتিকা ، كانت أهم مركز عنى بالأشعار الهومرية فانزلها الآثنيون من أنفسهم منزلة سامية ابتداء من القرن السادس وقرروا إنشادها في أخطر المناسبات وأجلها .

(١) كان العالم الألماني فيك (Fick) يعتقد أن الشاعر كونايثوس (Cunaethos) ترجم الملاحم الهومرية من الأيولية إلى الأيونية لكن مؤلفات اليونان تحتوي على إشارات تثبت عكس ما يقول ، فالشاعر سيمونيديس الكيوسى يشاهد بأبيات من الإلياذة (١٤٨:٦) مكتوبة بالأيونية مع أنه عاش قبل عام ٥٠٠ ق.م أي قبل ترجمتها .

(٢) فمثلا نجد عند هوميروس أربع كلمات بمعنى منزل domos, doma, oikos, oikia ؛ وعدة صور لمصدر فعل الكون ejnai, emenai, emmenai, emen ؛ كما يستعمل نهايات متعددة الاسم في حالة القابل الجمع مثل posi, possi, podessi .

شأننا فلم يكن هناك بد من دخول بعض التغييرات في نطق الكلمات وكتابتها^(١).

لم تكن اللغة الهومرية إذن من إبتكار هوميروس وحده بل كانت من صنع أجيال متتالية استخدمها كثير من الشعراء قبله ثم جاء هو وادخل فيها استعمالات جديدة وأضاف إليها مفردات عديدة ووصل بها درجة من السكال لم تبلغها على يد شاعر آخر.

لذلك لا نستطيع أن نتخذ من الفروق اللغوية بين لغة الإلياذة والوديسا دليلاً على أنهما من نظم شعراء مختلفين مادامنا نستطيع أن نرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة اللغة بصورة عامة وإلى موضوع الملحمتين بصورة خاصة، فلغة القصيدة الحربية التي تمتلئ بالمعارك لا بد وأن تختلف عن لغة القصيدة الحلقية التي تفيض بالمثل العليا والأفكار الفلسفية وهذا يفسر امتلاء الوديسا بالمعاني المجردة وخلو الإلياذة منها. أما عن تعدد الصيغ وكثرة الاستعمالات النحوية وتطور القواعد وتحرر الأسلوب واختفاء بعض الألفاظ القديمة في الوديسا فهذا يرجع إلى أنها نظمت بعد الإلياذة بوقت كان يكفي لتطور اللغة وأحداث مثل هذه الفروق.

وبهذه الطريقة أثبت سفيرنس خطأ نظرية ثولف واتباعه وفند مزاعمهم ووصل إلى أن هوميروس نظم الإلياذة والوديسا في القرن التاسع قبل الميلاد^(٢).

(١) من الممكن أن نعزو الكلمات الآتيكية أيضاً إلى أن الأيونية القديمة والآتيكية كانتا من أصل أقوى واحد، فليس يبعد أن الكلمات الآتيكية من أشعار هوميروس كانت أيونية قديمة ثم اختفت منها وانقرضت قبل أن تتطور وتتجدد في أيام هيودوت.

(٢) Severyns, op. cit., p. 12. Cf., Mazon (p.), Introd. à l'Iliade, p-p. 264--266. Cf., Robert (F.), Homère, p. 317.